

الدرس السابع عشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله؛ صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين . أما بعد :

يقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وغفر له ولشيخنا والسماعين في كتابه «التوحيد الذي هو حق الله على العبيد» :

باب قول الله تعالى { حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ } [سبا: ٢٣] . وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله ، كأنه سلسلة على صفوان ينفذهم ذلك ، { حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ } ، فيسمعها مسترق السمع، ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض، وصفه سفيان بن عيينة بكفه فحرفها وبدد بين أصابعه فيسمع الكلمة فيلقها إلى من تحته ، ثم يلقها الآخر إلى من تحته ، حتى يلقها على لسان الساحر أو الكاهن ، فرما أدركه الشهاب قبل أن يلقها وربما ألقاها قبل أن يدركه ، فيكذب معها مائة كذبة ، فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا: كذا وكذا ؟ فيُصدَّق بتلك الكلمة التي سُمعت من السماء » .

هذه الترجمة نظير الترجمة التي قبلها من حيث إقامة البرهان وذكر الشواهد والأدلة على وجوب توحيد الله إخلاص الدين له والبراءة من الشرك ، فهي ترجمة عُقدت لبيان برهان التوحيد ودليله ، وبيان بطلان الشرك بالله سبحانه وتعالى ، وأن أيّا كان غير الله تبارك وتعالى لا يستحق من العبادة أي شيء ، وأن العبادة إنما هي لله العظيم الجليل الكبير المتعال الذي بيده أزمنة الأمور ومقاليده السماوات والأرض ؛ ولهذا عقد رحمه الله هذه الترجمة ليبين من خلالها عظمة الله جل وعلا وجلاله سبحانه ، وأن عباده الذين عرفوه وعرفوا جلاله وعظمته سبحانه وتعالى مشفقون منه ، ويخافونه سبحانه وتعالى ويخشون عقابه ، ويدُلُّون ويخضعون له عز وجل ، ولا يسبقونه بالقول ولا يعصونه سبحانه وتعالى . فهي ترجمة يبين المؤلف من خلالها عظمة الله عز وجل وجلاله سبحانه وأن هذه العظمة وهذا الجلال وهذا الكمال وهذا الكبرياء وهذا العلو المطلق دليل وبرهان بيّن على وجوب إخلاص الدين له وإفراده وحده سبحانه وتعالى بالذل والخضوع .

قال رحمه الله تعالى : قال الله تعالى ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ [سبا: ٢٣] ؛ هذه الآية ينبغي أن نعلم أنها جاءت في القرآن الكريم في مساق إبطال الشرك وإقامة البرهان على وجوب توحيد الله وإخلاص الدين له سبحانه وتعالى ، ولهذا فإن من تمام فهمها فهم السياق الذي وردت فيه والآيات التي قبلها ؛ قد قال الله عز وجل قبل هذه الآية: ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شَرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ (٢٢) وَلَا تَتَفَعَّلُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (٢٣) ﴾ فإذا تأمل السياق بتمامه ، السياق من بدايته في إقامة البرهان والدليل على بطلان الشرك .

﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ أي من دون الله أيأ كانوا ، ويدخل في هذا السياق في قوله ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ يدخل هنا دخولاً أولاً للملائكة ؛ لماذا ؟ لأنه قال بعد ذلك ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ ﴾ أي : الملائكة ، لتضافر الأدلة في السنة النبوية تفسيراً لهذه الآية أن المراد الملائكة .

فإذاً قوله ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ يتناول كل معبود عُبد من دون الله عموماً ، ويتناول على وجه الخصوص الملائكة . ولماذا حُصِّوا بالذكر هنا؟ والملائكة من جملة المخلوقات التي عُبدت من دون الله وأُتخذت أنداداً مع الله سبحانه وتعالى وأُشركت مع الله في العبادة وهم لا يرضون ذلك ، أيأ من الملائكة لا يرضى ذلك كما سيأتي ما يشهد لذلك ويدل عليه ، فالملائكة من جملة المخلوقات التي عُبدت من دون الله .

فالله يقول: ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ أيأ كانوا ؛ ملائكة، أنبياء، أولياء، أيأ كانوا من المخلوقات أيضاً قل شجراً أو حجراً أو غير ذلك ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ ، كل هؤلاء ﴿ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ﴾ يعني لا يملكون شيئاً وإن قل ، شيئاً قليلاً لا يملكون ، والمراد هنا أي : ملكاً استقلالياً دون أن يكون الله هو الذي ملَّكهم إياه وأعطاهم إياه .

﴿ وَمَا لَهُمْ ﴾ أي هؤلاء الذين يُدْعَوْنَ من دون الله ﴿ فِيهَا ﴾ أي السماوات والأرض ﴿ مِنْ شَرْكٍ ﴾ أي ليس لهم مشاركة ، لا يملكون استقلالاً ، وأيضاً أقل من ذلك ليس عندهم نصيب مشاركة في ملك السماوات أو الأرض . وأمر آخر دون ذلك ﴿ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ﴾ ؛ ﴿ وَمَا لَهُ ﴾ أي الله ﴿ مِنْهُمْ ﴾ أي الذين يدعون من دونه ﴿ مِنْ ظَهِيرٍ ﴾ أي من معين .

إذاً لا مالك ولا شريكاً للمالك ولا معيناً للمالك ، لو كان أحد يملك استقلالاً استحق أن يدعى نفي ذلك ، دون ذلك أن يكون شريكاً للمالك لو وجد استحق أن يدعى نفي ذلك ﴿ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكَ ﴾ ، أمر ثالث إن وجد استحق من وجد فيه ذلك أن يدعى ويُعبد وهون أن يكون عويناً للمالك معيناً له ، قال ﴿ وَمَا لَهُ ﴾ أي الله ﴿ مِنْهُمْ ﴾ أي الذين يدعون من دونه ﴿ مِنْ ظَهْرِ ﴾ أي من معين.

بقي أمر رابع وهو الشفاعة ، والمراد بالشفاعة : أي الابتدائية التي بدون إذن المالك ، فأبطل ذلك ونفاه ، والمشركون كانوا يعتقدون في معبوداتهم أنها تملك الشفاعة ابتداءً عند الله ، تشفع لمن شاءت ابتداءً ، فأبطل الله سبحانه وتعالى ذلك بقوله : ﴿ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ﴾ ؛ لا بد أن يأذن سبحانه وتعالى للشافع ، ولا بد أن يرضى عن المشفوع له ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى ﴾ [الأنبياء: ٢٨] كما في آية أخرى ، وجمع بين الأمرين في حق الملائكة في قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مَنْ بَعْدَ أَنْ يُأْذِنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى ﴾ [النجم: ٢٦] لا بد من الأمرين معاً : إذنه للشافع ، ورضاه عن المشفوع له . ولا يرضى سبحانه وتعالى إلا عن أهل التوحيد ، أما أهل الشرك والتنديد فأمرهم كما قال الله ﴿ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾ [المدثر: ٤٨] .

إذاً لاحظ هذا التدرج : ﴿ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ﴾ ، ﴿ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكَ ﴾ ، ﴿ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهْرِ ﴾ ، ﴿ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ﴾ ، ﴿ حَتَّى إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ ﴾ وهنا كما نبّه أهل العلم محدوفٌ مقدّر دل عليه السياق ، ولا يملك أحد شفاعة عنده ، وهؤلاء الذين يدعى أنهم يشفعون عنده ابتداءً إنما هم عباد فقراء خاضعون لله سبحانه وتعالى ؛ هذه حالهم ﴿ حَتَّى إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ﴾ ، يعني هؤلاء الذين يقال إن فيما يعتقد أنه أهل الشرك أنهم يملكون شفاعة ابتدائية هذه حالهم عند الله ﴿ حَتَّى إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ .

ولهذا قال بعض أهل العلم عن هذا السياق المبارك من بدايته إلى قوله ﴿ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ إن هذا السياق قطع شجرة الشرك من أصولها واجتثها من عروقها ؛ أي أنه لم يبق متعلقٌ لمشرك ، كل ما يخطر بالبال أن المشرك يتعلق به أبطل في هذا السياق إبطالاً تاماً ، ولهذا سيأتي إيراد هذه الآيات عند المصنف رحمه الله في الترجمة اللاحقة لكنه اقتصر هنا على قوله ﴿ حَتَّى إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ .

انتبه هنا للضمير في قوله ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾ من هم هؤلاء ؟ إذا نظرت إلى السياق المتقدم فإن قوله ﴿عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾ الضمير عائد على ما عادت إليه الضمائر في السياق الذي قبله بدءً من قوله ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ ، أولاً قوله ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ ثم قال: ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ﴾ انتبه هنا للضمير ﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكَ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ (٢٢)﴾ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾ الضمير عائد على ما عادت إليه تلك الضمائر وهو من يُدعى من دون الله .

وجاءت أحاديث متضاربة في سنة النبي عليه الصلاة والسلام شارحة لهذه الآية فيها بيان أن المراد بقوله ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾ أي الملائكة ، فيكون السياق من بدايته يتناول عموم من يُدعى من دون الله ، ويتناول أيضاً الملائكة تناولاً خاصاً لدلالة آخر السياق على أن الملائكة معنيون بذلك في قوله جل وعلا: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ .

ما معنى ﴿فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾ ؟ والآية فيها دليل أن الملائكة لهم قلوب ، ووصف قلوب الملائكة بأنها تصاب بالفرع ، والفرع: هو شدة الخوف والإشفاق ، فوصفهم بقوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾ ما المراد بذلك؟ جاءت السنة مفسرة كما سيأتي في الحديث أَنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِذَا تَكَلَّمَ بِالْوَحْيِ خَرَّتِ الْمَلَائِكَةُ صَعِقَةً ، تصاب بالصعق تصعق ويغشى عليها ، والخوف ينفذ إلى قلوبهم ويمضي في قلوبهم ؛ خوفاً عظيماً من الله سبحانه وتعالى .

إذاً هنا حتى تدرك أيضاً دلالة الآية على التوحيد استحضر من هم هؤلاء الملائكة؛ من حيث أجسامهم ، من حيث قوتهم ، من حيث قدرتهم ، هؤلاء الذين مجرد أن يتكلم الله بالوحي يصابون بالصعق والغشي يغشى عليهم من هم هؤلاء ؟ ما هي أجسامهم ؟ ما هي قوتهم ؟ ما هي قدرتهم ؟

مر معنا إشارة إلى بعض الأحاديث في ذلك؛ مثل قول النبي عليه الصلاة والسلام كما في المسند قال : ((رَأَيْتُ جِبْرِيلَ فِي صُورَتِهِ وَلَهُ سِتُّ مِائَةِ جَنَاحٍ كُلُّ جَنَاحٍ مِنْهَا قَدْ سَدَّ الْأُفُقَ)) ، وقال عليه الصلاة والسلام كما في سنن أبي داود : ((أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ، إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِ مِائَةِ عَامٍ)) . جاءت أحاديث تبين ما أعطاه الله سبحانه وتعالى لهؤلاء الملائكة من ضخامة الأجسام من قوة من قدرة ، أمور عظيمة جداً أعطاه الله سبحانه وتعالى لهؤلاء الملائكة ، فهم مع ضخامة أجسامهم قوتهم قدرتهم إلى غير ذلك إذا تكلم الله سبحانه وتعالى بالوحي خرت الملائكة صعبة خضعاناً لقوله؛ أي خاضعين لقول الله سبحانه وتعالى .

إذا هؤلاء دل هذا السياق أنهم عبيد فقراء خاضعون لله سبحانه وتعالى خائفون مشفقون من الله سبحانه وتعالى هذه حالهم ؛ فهل هؤلاء يستحق أيّ منهم أن يُعبد وأن يصرف له شيء من العبادة ؟ وهم عبيد لله ! اسمع إلى قول الملائكة فيما ذكر الله عنهم في القرآن : ﴿ وَمَا مِنَّا إِلَا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴾ (١٦٤) وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ (١٦٥) وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴾ [الصفات: ١٦٤-١٦٦] ، كل واحد منهم له مقام معلوم في السماء ، يقول عليه الصلاة والسلام ((أَطَّتِ السَّمَاءُ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَتَطَطَّ ، مَا فِيهَا مَوْضِعٌ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا لِلَّهِ)) وهذا مما يفسر قوله ﴿ وَمَا مِنَّا إِلَا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴾ ، ما في السماء من موضع شبر إلا وفيه ملك ساجد لله . قال ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ (١٦٥) وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴾ هم عبيد لله ؛ تسيح وصفوف بين يدي الله وخضوع وذل لله سبحانه وتعالى ، أما العبادة ليس لهم منها أيّ شيء ولا يستحقون منها أيّ شيء ، حق لله وحده سبحانه وتعالى .

وتأمل أيضا في إبطال التعلق بالملائكة والدعاوى الباطلة دعاوى أهل الشرك في الملائكة وردّ الله سبحانه وتعالى عليهم في سورة الأنبياء ، قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ ﴾ أي تنزه وتقدس جل وعلا عن ادّعاء هؤلاء وزعمهم الباطل ، ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴾ لأنهم - قاتلهم الله - يقولون الملائكة بنات الله ، ولهذا يصرفون للملائكة أنواع من العبادة باعتبار أنهم أولاد لله بزعم هؤلاء .

﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ ﴾ والمراد هنا الرد على المشركين القائلين إن الملائكة بنات الله ، ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴾ (٢٦) لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهُ يَعْمَلُونَ (٢٧) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ (٢٨) وَمَنْ يَقُلْ هَذَا عَلَى سَبِيلِ الْفُرْصِ ﴿ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ ﴾ أي الملائكة ﴿ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ ﴾ أي من دون الله ﴿ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾ والمراد بالظلم هنا : الكفر والشرك بالله سبحانه وتعالى .

فإذا هذا باب عظيم جداً في إبطال الشرك وإبطال التعلقات بغير الله سبحانه وتعالى . سبحانه الله !! بعض الناس يأتي أحد الدجاجلة ويقوم بين أيديهم ببعض الأعمال ربما السحرية أو الأمور الخارقة للعادة بالتعاون مع الشيطان ؛ فتعلق قلوبهم به ويذلون له ويقدمون له رجاءهم وخوفهم ورغبتهم ورهبتهم ! مجرد أن رأوا بعض الحركات التي هي من التعامل بالسحر أو التعاون مع الشياطين ، ثم يصرفون لهؤلاء أنواعاً من العبادة ويخضعون ويذلون لهؤلاء !! إذا عرفنا حال الملائكة مع تلك القوة وتلك الضخامة وتلك القدرة ، ملك من الملائكة يقول للنبي عليه الصلاة والسلام ((إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين)) ؛ إذا هم مع هذه القوة ومع هذه الضخامة ومع هذا الكبر في الأجسام لا يستحقون شيء من العبادة ، هم عباد مكرمون أكرمهم الله بطاعته

وعبوديته والذل له ولا يعصون أمره ، حياتهم كلها طاعة لله سبحانه وتعالى لكن لا يستحق أيُّ منهم شيء من العبادة ، قال جل وعلا في الملائكة الذين هم على النار : ﴿ عَلَيْهِم مَّلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحریم: ٦٠] .

فإذاً انتبه هنا إلى هذه الدلالة العظيمة على التوحيد أن المخلوق مهما كان؛ عبادةً ، كرامةً ، قوةً ، قدرةً ، كبراً وضخامةً في الجسم إلى غير ذلك من الأوصاف ، مهما كان يبقى عبد لله سبحانه وتعالى ، يبقى فقير لله سبحانه وتعالى ، يبقى لا يستحق من العبادة أي شيء ، العبادة حق لله سبحانه وتعالى ؛ فهذا برهان عظيم جداً في تقرير التوحيد وإبطال الشرك.

﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ عندما يتكلم الله بالوحي تخر الملائكة صعقة ، ثم إذا زال الفزع عن قلوبهم وقاموا من الغشي الذي أصابهم سألوا هذا السؤال ، سأل بعضهم بعضاً ﴿ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ﴾ فيجيبون ﴿ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ أي : قوله حق ولا يقول إلا حقاً سبحانه وتعالى .

﴿ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ والختم في هذا السياق المبارك بهذين الاسمين : العلي الكبير هذا أيضاً برهان عظيم من براهين التوحيد ؛ من حيث أن المعبود بحق ولا معبود بحق سواه هو العلي الكبير ، ولا أحد كذلك إلا الله سبحانه وتعالى هو العلي الكبير ؛ هو الذي له العلو المطلق ذاتاً وقدرراً وقهراً ، عليٌّ بذاته سبحانه وتعالى فوق سماواته ، عليٌّ بقدره جل في علاه ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ [الزمر: ٦٧] ، عليٌّ بقهره ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ﴾ [الأنعام: ١٨] ، عليٌّ بتنزهه سبحانه وتعالى عن النقائص وعن كل ما لا يليق به سبحانه ﴿ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [يونس: ١٨] ، وهو جل وعلا الكبير الذي لا أكبر منه كما جاء في الحديث في المسند وغيره لما قال النبي عليه الصلاة والسلام لعدي ((يا عدي ما يُفْرِكُ؟)) ما الذي يجعلك تفر عن الإسلام ولا تُقبل عليه؟ ما الذي تخشاه؟ ما الذي تخافاه؟ ما يفرك؟ ((أيفرك أن يقال لا إله إلا الله)) هذا هو الإسلام أيفرك أن يقال لا إله إلا الله ((وهل إله غير الله؟ أيفرك أن يقال الله أكبر؟ وهل شيء أكبر من الله)) ؛ الإسلام توحيد وتكبير وتعظيم لله سبحانه وتعالى وتنزيهه وتقديسه للرب العظيم جل وعلا ، ولهذا كان أحب الكلام إلى الله : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر .

فإذاً كونه جل وعلا العلي الكبير هذا من براهين توحيده ، قال تعالى : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ [الحج: ٦٢] ؛ انظر كيف ختم الآية بهذين الاسمين :

العلي الكبير ، لأن هذا برهان من براهين وجوب توحيدِهِ وإخلاص الدين له وإبطال الشرك ، وأنَّ كل من يدعى من دونه فدعوته باطل وضلال .

فإذاً قوله جل وعلا ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ هذا من براهين التوحيد ودلائله من جهتين :

● الجهة الأولى : بيان عظمة الله سبحانه وتعالى وجلاله وكماله وعلوه وكبريائه ، وأنه سبحانه وتعالى الملِك لا ند له ، الرب لا شريك له ، المدبر لا عوين له سبحانه وتعالى ، الذي بيده أزمّة الأمور ومقاليد السماوات والأرض .

● ومن جهة أن المخلوقات مهما كانت في كرامتها أو مكانتها أو قوتها أو قدرتها أو ضخامة أجسامها أو غير ذلك من الصفات التي أعطها الله سبحانه وتعالى إياها تبقى عبيداً لله سبحانه وتعالى ذليلة خاضعة لله عز وجل فقيرة إلى الله سبحانه وتعالى ، لا تستحق من العبادة أي شيء وليس لها من العبادة أي شيء ؛ ولهذا جاء في الآية قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَنْ يُقُلْ مِنْهُمْ ﴾ أي هؤلاء الملائكة مع الضخامة والكبر والقوة والقدرة إلى غير ذلك ﴿ وَمَنْ يُقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهُ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾ (٢٩) ؛ العبادة حق لله سبحانه وتعالى ولا يجوز أن يُصرف شيء منها لغيره عز وجل .

المؤلف رحمه الله تعالى صَدَّر الترجمة بهذه الآية الكريمة ثم أتبع ذلك بذكر حديثين من سنة النبي الكريم عليه الصلاة والسلام شارحين لهذه الآية وموضحين لمعناها ومبينين لمدلولها .

الحديث الأول : حديث أبي هريرة وهو في الصحيح - أي صحيح البخاري - عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ((إذا قضى الله الأمر في السماء)) ؛ قضى الأمر: أي تكلم به سبحانه وتعالى بالأمر الذي أراده كونياً كان أو شرعياً ، قد قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [يس: ٨٢] .

إذا قضى الله الأمر في السماء أي تكلم بما أراده من قضاء سبحانه وتعالى ؛ قضاءً كوني أو قضاءً شرعي ، لأن القضاء يطلق ويراد به الكوني ﴿ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَواتٍ ﴾ [فصلت: ١٢] ، ويطلق ويراد به الشرعي ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا يَآهٗ ﴾ [الإسراء: ٢٣] .

((ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله)) «خضعاناً» مصدر بمعنى خاضعين ، وتروى بفتحيتين في أولها «خُضَعَانَا لقوله» أي خاضعة لقول الله سبحانه وتعالى .

((لقلوله)) وهذا فيه إضافة القول لله عز وجل وأن المراد بقوله في أول الحديث ((إذا قضى الله الأمر)) أي إذا تكلم به ، ولهذا قال ((خُضْعَانًا لقلوله)) أي للقول الذي قاله والكلام الذي تكلم به ؛ فهذا فيه إثبات الكلام لله سبحانه وتعالى ، وأنه يتكلم بكلام يُسمع ، والحديث من جملة دلائل كثيرة دالة على ذلك .

((كأنه سلسلة على صفوان)) وهذا إخبار عن ما يسمعه الملائكة ، يسمعون صوتاً كأنه سلسلة على صفوان .
((ينفذهم ذلك)) أي أن ذلك يدخل ويمضي في قلوبهم؛ ينفذ : أي يدخل ويتمكن من قلوبهم دخولاً في القلوب .
((حَتَّى إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ)) أي أنه إذا وصلهم ذلك ونفذ إلى قلوبهم وأصابهم الصعق والغشي كما يأتي في الروايات . قال : ((حَتَّى إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ)) أي زال هذا الفزع وذهب عن قلوبهم .

((قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ؟ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ)) وهذا تفسير للآية ، ولهذا قال أهل العلم إن المراد بقوله في الآية ﴿حَتَّى إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾ المراد به الملائكة ، لأن السنة جاءت مفسرةً للآية بذلك وشارحة للآية بذلك كما في هذا الحديث وغيره .

((فيسمعها مسترق السمع)) يعني الشياطين ، لأن الملائكة يسأل بعضهم بعضاً أهل كل سماء يسألون ، وجبريل كلما مر نازلاً بأهل كل سماء سألوه حتى يصل إلى أهل السماء الدنيا فيسألون : ماذا قال ربكم ؟ فيخبرهم جبريل بما قال ؛ فالجن يصعد بعضهم فوق بعض واحداً فوق الآخر إلى أن يصلوا إلى السماء الدنيا من أجل الاستماع ، والله أعطاهم قدرةً على هذا العمل ، فيصعد بعضهم فوق الآخر من أجل استراق كلمة مما يدور بين الملائكة ، يخبر بعضهم بعضاً : قال الله كذا ، فيسترقون الكلمة فينزلون ، والله سبحانه وتعالى جعل في السماء الشهب رجوماً للشياطين ، ولهذا هذا الصعود واحداً فوق الآخر يُعَدُّ مخاطرة عظيمة جداً يرتكبها هؤلاء ، يصعدون هذا الصعود في هذه المخاطرة ويتعرضون للشهب التي هي رجوم للشياطين من أجل أن يظفروا بكلمة واحدة ، لكنهم يدركون أن هذه المخاطرة لها ثمة يريدونها وهي إضلال خلق من الإنس وإبعادهم عن دين الله تبارك وتعالى .

قال : ((فيسمعها مسترق السمع ، ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض)) أي الشياطين تصعد بعضها فوق بعض .

((وصفه سفيان)) أي ابن عيينة رحمه الله تعالى ((بكفه فحرفها)) أي أمال يده ((وبدّد بين أصابعه)) أي فرج بين أصابعه كما جاء في بعض الروايات في صحيح البخاري ((وفرّج بين أصابع يده اليمنى)) هكذا جاء في بعض الروايات في صحيح البخاري .

((فيلقيها إلى من تحته)) من هو هذا الذي يلقيها إلى من تحته ؟ أي الشيطان فوقاني أعلى واحد منهم يسترق الكلمة فيلقيها إلى من تحته ، ومن تحته يلقيها إلى من تحته ، ومن تحته إلى من تحته ، إلى أن تصل إلى الأسفل منهم فيذهب بها إلى الكاهن أو الساحر ؛ جهود كبيرة يبذلها هؤلاء وعمل مضني ومتعب وفيه مخاطرة ! لكن له عندهم ثمة كبيرة وهي : إضلال خلق لا يحصون بمثل هذا الأمر الذي يفتنون به الناس .

((فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته ثم يلقيها الآخر إلى من تحته حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن، فرمما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها ، وربما ألقاها قبل أن يدركه)) وهذا يدل أنهم في مخاطرة ، قد يلتقط وقد يضربه الشهاب فيهلك قبل أن يلتقط الكلمة ، فيعطيها إلى الكاهن أو الساحر .

قال : ((فيكذب معها مائة كذبة)) يعني يأخذ هذه الكلمة التي استرقها هؤلاء وجاءوا بها له ويكذب الكاهن أو الساحر معها مائة كذبة ، ماذا يكون حال الناس ؟ هل يذكرون كذبه ؟ أو ينسون الكذب ويذكرون المرة الواحدة التي قال قولاً صحيحاً فيها ؟

يقول : ((فيقال أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا : كذا وكذا ؟ فيُصدَّق بتلك الكلمة التي سُمعت من السماء)) أما كذبه الكثير الذي لا حدَّ له كله يُنسى وكله لا يروى وكله يطوى ولا يُذكر ، لكن يأخذون هذه المرة الواحدة ويقولون : أليس في اليوم الفلاني قال لنا كذا وكذا ، فيصدَّق بتلك الكلمة .

إذاً هذه المخاطرة التي قام بها الشياطين من أجل أن يصلوا إلى إضلال الناس وصدّهم عن سبيل الله .
الشاهد من الحديث للترجمة : فقر الملائكة وضعفهم وعجزهم وأنهم إذا تكلم الله سبحانه وتعالى بالوحي أصيبوا بالفرع ، وضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله؛ أي خاضعة لقول الله سبحانه وتعالى مشفقة خائفة ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: ٥٠] ؛ فهذه حالهم مع الله سبحانه وتعالى . فهذا من البراهين الواضحات والدلائل البينات على وجوب توحيد الله وإبطال الشرك .

قال رحمه الله :

وعن النّوّاس بن سمعان رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا أراد الله تعالى أن يوحي بالأمر ، وتكلم بالوحي أخذت السماوات منه رجفةً أو قال رعدة^١ شديدة خوفاً من الله عز وجل ، فإذا سمع ذلك أهل السماوات صُعقوا وخرّوا سجداً ، فيكون أول من يرفع رأسه جبريل ، فيكلّمه الله من وحيه بما أراد ، ثم يمرُّ جبريل على الملائكة ، كلما مرّ بسماء سألها ملائكتها : ماذا قال ربنا يا جبريل ؟ فيقول جبريل : قال الحق وهو العلي الكبير . فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل ، فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله عز وجل » .

ثم أورد رحمه الله تعالى هذا الحديث - حديث النّوّاس بن سمعان رضي الله عنه - والحديث لم يذكر رحمه الله تعالى من خرّجه ، ويبيّن في آخره ، ويبدو أنه بيّن لئتم لفظة بقيت في الحديث وأيضاً لئتم ذكر من خرّج الحديث ،

^١ (السماوات) مفعول مقدم ، و(رجفة) فاعل ، و(ردة) معطوف عليه .

والحديث له تنمة يسيرة ((فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله عز وجل من السماء والأرض)) ، والحديث رواه ابن جرير الطبري في تفسيره وابن أبي حاتم والطبراني وغيرهم ، وفي سنده كلامٌ لكن له شواهد تقويه وتدل على ثبوته .

والنواس بن سَمْعَانَ ؛ «سمعان» ضُبِطَتْ بفتح السين وبكسرهما ذكر ذلك النووي رحمه الله تعالى ، وذكر أن فتح السين مذهب الأكثر من أهل العلم ، النواس ابن سَمْعَانَ ، ويقال إن والده صحابي .

قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((إذا أراد الله تعالى أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي)) ؛ وهذا فيه إثبات الكلام وأن الله عز وجل يتكلم متى شاء بما شاء ، ولهذا يأتي في الأحاديث : «تكلم» ، و«يتكلم» ، وأيضاً إضافة الكلام إليه في آيات كثيرة جداً في القرآن ، فالله سبحانه وتعالى متصف بأنه يتكلم كلاماً يليق بجلاله وكماله ، يتكلم بما شاء متى شاء جل وعلا ، والقرآن الكريم من كلامه ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦٠] .

قال : ((إذا أراد الله أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي أخذت السماوات منه رجفةً أو قال رعدةً شديدة خوفاً من الله عز وجل)) ؛ السماوات عندما يتكلم الله سبحانه وتعالى بالوحي تصيبها رجفة أو رعدة خوفاً من الله عز وجل . وهذا الخوف والرجفة والردة هذا على ظاهره حقيقة لا يؤوّل وإنما يُثَبَّتْ ويمرّ كما جاء ، والله سبحانه وتعالى وصف السماوات في القرآن بمثل ذلك ونحوه وقريباً منه ﴿قَالَتِ الْأُنثَىٰ طَائِعِينَ﴾ [فصلت: ١١] ، ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢] ، قال : ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤] ؛ هذا كله حقٌّ على حقيقته .

فالسماوات تصيبها ((رجفة أو رعدة)) شكٌّ من الراوي وهما بمعنى واحد ((شديدة)) أي الرجفة شديدة أو الرعدة شديدة ((خوفاً من الله عز وجل)) وهذا أيضاً من براهين التوحيد ؛ هذه السماوات مع ضخامتها وكبرها وعظمتها ما أن يتكلم الله سبحانه وتعالى بالوحي إلا وتصاب برجفة ورعدة شديدة خوفاً من الله جل وعلا ؛ هذا من براهين التوحيد ووجوب إخلاص الدين لله جل في علاه .

قال : ((فإذا سمع ذلك أهل السماوات)) أي الملائكة ((صُعِقُوا وخرّوا سجداً)) أي يحصل منهم أمران ، والواو لا تقتضي الترتيب ، ولهذا الله أعلم بأيّ الأمرين أول السجود أو الصعق؟ فتخر الملائكة صعقة تُصَعَّقُ ، وتخر ساجدةً لله سبحانه وتعالى خاضعةً ذليلةً مشفقةً خائفةً من الله جل وعلا .

((فيكون أول من يرفع رأسه جبريل)) وهذا أيضا دليل أن جبريل شأنه شأن الملائكة ويصيبه ما يصيب الملائكة ((فيكون أول من يرفع رأسه جبريل فيكلمه الله من وحيه بما أراد)) ويسمع جبريل من الله ، ثم ينزل إلى حيث أمره الله سبحانه وتعالى من السماء والأرض كما جاء ذلك في تمام الحديث ، ينزل ليبلغ ، ولهذا جبريل الرسول الملكي قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [التكوير: ١٩] أي جبريل ، لقوله ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ (٢٠) مُطَاعٌ ثَمَّ أَمِينٌ﴾ [التكوير: ٢٠-٢١] المراد جبريل ، فهو رسول ملكي يبلغ عن الله سبحانه وتعالى رسالته إلى حيث أمره الله من السماء أو الأرض .

((فيكون أول من يرفع رأسه جبريل فيكلمه الله من وحيه بما أراد ثم يمر جبريل على الملائكة ، كلما مر بسماء سأله ملائكتها)) وقوله «ملائكتها» هذا فيه أن لكل سماء ملائكتها .

يسألون جبريل ((ماذا قال ربنا يا جبريل ؟ فيقول جبريل : قال الحق ، وهو العلي الكبير ، فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل)) أي قال الحق وهو العلي الكبير .

((فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله عز وجل من السماء والأرض)) لأن مهمته إبلاغ كلام الله سبحانه وتعالى إلى حيث أمره الله جل وعلا .

شاهد الحديث للترجمة : ذكر حال الملائكة عندما يتكلم الرب العظيم بالوحي؛ كيف أنهم يصعقون ويخرون لله سجداً ، وكيف أيضاً أن السماوات تصيبها رعدة ورجفة شديدة خوفاً من الله سبحانه ؛ فهذا كله من الدلائل البينات على عظمة الله وجلاله وكماله وكبريائه ، وأنه المستحق للعبادة وحده دون سواه ، وأن المخلوقات أياً كانت ومهما كانت لا تستحق من العبادة أي شيء .

قال رحمه الله :

فيه مسائل ؛ الأولى : تفسير الآية .

وقد تقدم .

الثانية : ما فيها من الحجة على إبطال الشرك ، خصوصاً ما تعلق على الصالحين ، وهي الآية التي قيل إنها تقطع عروق شجرة الشرك من القلب .

وهذا أيضاً مضى بيانه وإيضاح ما في هذه الآية الكريمة من دلالة قوية وحجة ظاهرة على إبطال الشرك .

الثالثة : تفسير قوله { قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ } .

أيضا تقدم معنا تفسير ذلك .

الرابعة : سبب سؤالهم عن ذلك .

يعني سبب هذا السؤال «ماذا قال ربكم؟» ، والسبب مر معنا في الحديث لأنهم يصعقون ، وهذا الصعق يترتب عليه أنهم لا يفهمون الكلام ولا يدرون ماذا قال الله وبماذا تكلم الله عز وجل ، ولهذا احتاجوا إلى السؤال عن ذلك .

الخامسة : أن جبريل يجيبهم بعد ذلك بقوله : (قال كذا وكذا) .

أن جبريل يجيبهم بعد ذلك أي بعد سؤالهم له «ماذا قال الله عز وجل؟» بقوله (قال كذا وكذا) أي يخبرهم بذلك.

السادسة : ذكر أن أول من يرفع رأسه جبريل .

وهذا جاء منصوباً عليه في حديث النواس ((فيكون أول من يرفع رأسه جبريل)) ؛ وذلك والله تعالى أعلم لأنه الموكول بالوحي .

السابعة : أنه يقول لأهل السماوات كلهم لأنهم يسألونه .
وقد تقدم معنا في الحديث ((كلما مر بسماءٍ سأله ملائكتها)) .

الثامنة : أن الغُشيَّ يعمُّ أهل السماوات كلهم .

أي كلهم يصابون بذلك بما فيهم جبريل ، ويكون جبريل أول من يرفع رأسه .

التاسعة : ارتجاف السماوات لكلام الله .

لقوله في الحديث ((إذا تكلم بالوحي أخذت السماوات منه رجفة أو رعدة شديدة)) ؛ فهذا فيه دلالة على ارتجاف السماوات لكلام الله .

العاشرة : أن جبريل هو الذي ينتهي بالوحي إلى حيث أمره الله .

لقوله في تمام الحديث ((فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله عز وجل من السماء والأرض)) .

الحادية عشرة : ذكر استراق الشياطين .

أي استراقهم السمع وأنه يصعد كل واحد منهم فوق الآخر حتى يلتقطوا كلمة واحدة يستمعها الأعلى فيعطونها إلى الأدنى حتى تصل إلى الساحر .

الثانية عشرة : صفة ركوب بعضهم بعضا .

صفة ركوب بعضهم بعضا جاء بيانه في كلام سفيان ابن عيينة : أنه حرّف يده وفي رواية فرج بين أصابع يده اليمنى وحرّفها أي أمالها ، وبدّد بين الأصابع أي فرج بين الأصابع .

الثالثة عشرة : إرسال الشهب .

لقوله في الحديث ((فرما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها)) ففي ذلك إرسال الشهب ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمَعُ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا﴾ [الجن:٩] ، وهل الشهب كانت قبل الإسلام في الجاهلية أو لا ؟ قولان لأهل العلم ؛ لكن الصحيح أنها كانت موجودة لكنه بالبعثة زاد حراسة السماء وحمايتها بالشهب ، ولهذا جاء في بعض الأحاديث أنهم كانوا يعتقدون أن الشهب تكون عندما يولد عظيم أو يموت عظيم ، فهي كانت موجودة لكن لما بُعث محمد عليه الصلاة والسلام زاد الأمر وعظم حراسةً للسماء .

الرابعة عشرة : أنه تارة يدركه الشهاب قبل أن يلقيها وتارة يلقيها في أذن وليّه من الإنس قبل أن يدركه . وهذا أيضاً واضح في حديث أبي هريرة .

الخامسة عشرة : كون الكاهن يصدّق بعض الأحيان .

لأنه تأتيه هذه الكلمة الواحدة فيمزج معها مئة كذبة ؛ فإذاً هو يصدّق في بعض الأحيان بهذه الكلمة التي استُرقت له .

السادسة عشرة : كونه يكذب معها مائة كذبة .

يعني لا يكذب عشر كذبات أو عشرين يكذب كذبات كثيرة جداً ، وكل هذه الكذبات تُنسى ولا يذكر الناس إلا المرة الواحدة التي أخبرهم بأنه يكون كذا فكان كما أخبر مما استُرقت له من السمع .

السابعة عشرة : أنه لم يصدّق كذبه إلا بتلك الكلمة التي سُمعت من السماء .

أي أن هذه الكلمة الواحدة تكون سبباً في تصديق الكذب الكثير الذي يقوله ، ولهذا جاء في الحديث الأول ((فيصدّق بتلك الكلمة التي سُمعت من السماء)) .

الثامنة عشرة : قبول النفوس للباطل ؛ كيف يتعلقون بواحدة ولا يعتبرون بمائة .

هذا فيه حال جهل كثير من الناس وقبولهم للباطل ؛ كيف يتعلقون بواحدة ولا يعتبرون بمئة ، كان الأصل أن يقولون : هذا دائماً نسمع منه الكذب فلا نصدقه ، لكن قبول النفوس الباطل كيف يتعلقون بواحدة مرة يصدّق فيها وينسون كذبه الكثير .

التاسعة عشرة : كونهم يتلقى بعضهم من بعض تلك الكلمة ويحفظونها ويستدلون بها .

أي الناس الذين يسمعون الكاهن يتلقى بعضهم من بعض تلك الكلمة ويحفظونها ويستدلون بها ، لكنهم لا يروون الكذب ، الكذب الكثير الذي عنده ما يروونه ، لكن المرة الواحدة التي صدّق فيها يحفظونها ويتلقاها بعضهم من بعض ويروونها ويستدلون بها ، أما الكذب الكثير هذا كله لا يحفظونه ولا يذكرونه .

العشرون : إثبات الصفات خلافاً للأشعرية المعطلة .

لأن السياق الذي مر فيه إثبات العلو ، وفيه إثبات أن الله الكبير ، وفيه إثبات الكلام ؛ فيه إثبات صفات عديدة لله جل وعلا ، ففيه إثبات الصفات لله عز وجل .

الحادية والعشرون : التصريح بأن تلك الرجفة والغشي خوفاً من الله عز وجل .

كما جاء في الحديث ((أخذت السماوات رجفة أو رعدة خوفاً من الله)) .

الثانية والعشرون : أنهم يخرجون لله سجداً .

هذه المسألة الأخيرة : أنهم يخرجون لله سجداً وقد تقدمت معنا في الحديث ((إذا سمع ذلك أهل السماوات صعبوا وخروا لله سجداً)) .

وبهذا تنتهي هذه الترجمة بما فيها من أدلة ومسائل . وصلى الله وسلم على رسول الله .